

دلالة النص الموازي في رواية "روائح المدينة" لحسين الواد

قراءة في عتبي الغلاف والعنوان

the significance of the parallel text in the novel "smells of the city" of Hocine el-Wad

read in the cover and title

أ.د يوسف العايب¹*

1 جامعة -الوادي – الجزائر youcef-laib@univ-eloued.dz

تاريخ النشر: 2023/12/30

تاريخ المراجعة: 2023/02/11

تاريخ الإيداع: 2023/01/01

ملخص:

تُشكّل العتبات النصية مفاتيح إجرائية فاعلة للولوج في فضاء النص و التأثير في متلقيه، ووعيا منها بدور(عتبات النص) ووظيفتها في الإسهام في إضفاء معنى عليه وإثارة اهتمام المتلقي وتوجيه قراءته، أولت تلك الدراسات و المقاربات النقدية الحديثة و المعاصرة اهتماما بالنص الموازي الذي يطرح نفسه للمتلقي عموما بمثابة كتاب مفتوح يتجاوز الحدود بين ما هو داخل النص وخارجه مشكلا نقطة عبور إلى داخل النص. كما اتفقت جميع تلك المقاربات على التمييز بين مستويين من الخطاب في أيّ مؤلف، هما النص وعتباته، انطلاقا من وظيفة كل منها الخاصة وشكل اشتغالها وموقعها في فضاء النص وطبيعة الحمولة الفكرية والأيدولوجية التي تنطوي عليها.

و ضمن هذا الإطار تأتي هذه الدراسة الموسومة ب: دلالة النص الموازي في رواية "روائح المدينة" لحسين الواد -قراءة في عتبي الغلاف والعنوان للوقوف على مدى استثمار الكاتب لهاتين العتبتين النصيتين في التعبير عن تجاربه و انفعالاته و كذا عن دلالاتها و دورها في جذب اهتمام المتلقي للدخول في فضاء المتن الروائي، وفاعليتها في فهمه والولوج إلى خباياه، و كذا أهميتها في عمليتي: الإبداع والتلقي انطلاقا مما تحمله من طاقات تعبيرية و وظائف إبلاغية، ومما تخلقه من رغبات و انفعالات لدى المتلقي تدفعه إلى اقتحام عالم النص برؤية مسبقة في غالب الأحيان.

الكلمات المفتاحية: النص ، النص الموازي ، الخطاب ، التلقي ، حسين الواد

*المؤلف المراسل.

Abstract

The textual thresholds constitute effective procedural keys for accessing the text space and influencing the recipient. Aware of the role (s) of the text and its function in contributing to the meaning and interest of the recipient and guidance of reading, these studies and modern and contemporary monetary approaches paid attention to the parallel text that presents itself For the recipient generally serves as an open book that transcends the boundaries between what is inside and outside the text, forming a crossing point into the text. All these approaches have agreed to distinguish between two levels of discourse in any author: the text and its thresholds, based on their respective functions, their form of operation, their location in the text space, and the nature of the intellectual and ideological load involved

Within the framework of this framework comes the study of: the significance of the parallel text in the novel "smells of the city" of Hocine el-Wad - read in the cover and title to find out how much the author invested these two thresholds in the expression of his experiences and emotions and the implications and role in attracting The interest of the recipient, to enter into the narrative space of the novel, and its effectiveness in understanding and access to its mysteries, as well as its importance in the process: Creativity and reception from the expressive capacities and expressive functions, and generated by the wishes and emotions of the recipient push him to break into the world of text vision in advance Often.

key words:Text, Parallel Text, Speech, Receiving, Hocine el-Wad

توطئة:

تعد النصوص الموازية " مفتاحا قرائيا بالغ الأهمية في سياق الاهتمام النقدي بها بوصفها فضاء محيطا و بابا مشفرا يحيط بالبناء السردى للنص، يوازيه و يتفاعل معه على مستويات متعددة في المتن إلى الخطاب ، فهي تشرع أمام المتلقي الطريق لاقتحام النص، و من خلالها يبني أول آفاق انتظاره و توقعه " ¹ بما تحمله من تأويلات و دلالات ، و كذا وظائف متعددة تختزل جانبا من منطق السرد و الكتابة بعامه ، فتلك الرموز الإشارية يمكن اعتبارها في مجموعها أدوات أساسية إجرائية يتسلح بها القارئ و هو يستعد لاقتحام عوالم النص من أجل الوصول إلى مرامييه و مقصدياته و فهم طبيعته قراءته فهما مبدئيا ، و " كل تلك الأشكال العتباتية تحمل في ذاتها دلالات وثيقة العلاقة بالنص عن طريق تشفيرها و إحياءاتها التي تدفع باتجاه إثارة القارئ المندفع و المشغول بتأويله لهذه المداخل علها تعينه على فك رموز النص وإزاحة بعض أقنعتة " ²

و قد تفتن العرب قديما للعتبات النصية من خلال اهتمامهم بالاستهلال ، ذلك أن حسنه في اعتقادهم " داعية للانشراح و مطية للنجاح " ³ ، ثم أن الشعر في اعتقادهم " قفل أوله مفتاح فينبغي للشاعر أن يوجد ابتداء شعره ، لأنه أول ما يقرع السمع و به يستدل على ما عنده من أول وهلة " ⁴ .

ثم تضاعف اهتمامهم بالعتبات النصية بعد تنبه النقد الحديث إلى فاعليتها ووظائفها الدلالية والجمالية ، " و بات ينظر إليها بوصفها جزءا لا يتجزأ من القيمة الإبداعية المتكاملة للنص ، فلم يعد المتن النصي هو الغاية الوحيدة التي يقصدها المتلقي لأن ما حول المتن النصي من عتبات نصية باتت تؤثر تأثيرا بالغا في طبيعة التأويل " ⁵ ولا تقل أهمية عن تأثير المتن في المتلقي. و هو ما يجعل من مسؤولية الكاتب و الناشر كبيرة في تشكيل تلك العتبات و رسم حدودها و معالمها " لأن هناك علاقة بين المبدع و المتلقي قبل إتمام العمل ، وهذه العلاقة تأخذ شكلا تفخيخيا من قبل المبدع الذي يروم من خلال عتباته إيهام القارئ و تشظي أفكاره رغبة في طول الممانعة النصية ". وانطلاقا من ذلك كله جاز لنا أن نقول أن العتبات النصية استطاعت أن تشكل خطابا مفكرا فيه و دولا سيميائية مؤثرة و فاعلة في النصوص التي تحيط بها و تصاحبها .

وما يكسب هذه الدراسة أهميتها هو كونها تتناول ظاهرة سيميائية لها حضورها الواسع في حقل الدراسات النقدية الحديثة و المعاصرة ، و لها تأثيرها الفاعل في تشكيل فضاء الإبداع الأدبي عامة و الروائي بصفة خاصة باعتبارها مفتاحا أساسيا من مفاتيح الولوج إلى النصوص و اقتحام سياجاتها و اقتحام عوالمها الظاهرة و الخفية . و نهدف من خلال ذلك كله إلى الوقوف على عتبي لوحة الغلاف و كذا العنوان في رواية "روائح المدينة" لحسين الواد ، و محاولة إبراز قيمها الدلالية و الجمالية و كذا الكشف عن وظائفها التداولية و أهميتها في عمليتي الإبداع و التلقي .

هذا و قد اقتصرنا الدراسة على تتبع عتبي الغلاف و العنوان للرواية الصادرة في جزئها الأول في طبعها الأولى عام 2010 عن دار الجنوب للنشر بتونس .

أولا- لوحة الغلاف :

من بين ما اهتم به النقاد من نصوص مصاحبة للعمل الأدبي لوحة الغلاف على اعتبار أنّها مفتاح للعمل الأدبي، لا ينبغي الدخول في النص مباشرة قبل النظر فيها لما لها من أهمية في تفسير النص و تشكيل رؤية مؤيدة لما يرتضيه الروائي .

و تأتي حاجة المتلقي إلى صورة الغلاف بنفس درجة احتياج الناشر أو الكاتب إليها . فالتفكير في مكوناتها و محاولة تفسيرها يجعل القارئ مشاركا بصورة فعالة في كتابة النص الذي أصبح يرفض أن يأتي كاملا من مؤلفه . و يصّر على أن يكون نبتة لا تنمو إلا بقراءة متلقٍ قادر على تخيل ما لم يخض فيه الكاتب الذي تكمن مهارته في مدى استغلاله لطاقت المتلقي الذهنية و الذوقية⁶ ، فليس الغلاف إذا مجرد " قشرة لحفظ الصفحات من التلف، و هو قد يكون مساهمة فاعلة مقصودة بألوانه و تشكيلاته تضيء على الكتاب رؤية جمالية تفصح عمّا تريد أن تقوله الرواية"⁷ و ذلك لما يحمله الغلاف - عادة- من رسومات واقعية أو تجريدية لا يمكن تمييز واحدة منها عن الأخرى، فالنتائج الدلالية للصورة الواقعية (شخص ، منزل ، شجرة ، حيوان ...) لا تقل -أبدأ- عن نتائج الصورة التجريدية ، بل قد تفوقها دلالة في بعض الأحيان ، و ليس أدلّ على ذلك من لوحة الطفل الباكي و الموناليزا⁸

ويحاول هوس الذاكرة البحث عن مفاتيح أخرى تساعد على استنطاق صمت النص ، فنجد أن أكثر ما يشغل الحواس الفاعلة هو وجود لوحة على الغلاف ارتفعت من متن السرد المشبع بالكلام و الأوصاف الخاصة بالمكان إلى لوحة اختارها الكاتب أو الناشر لتحمل هموم الرواية ، و ما يريده الكاتب أو حتى الرسام الذي اشتغل على إنتاجها في سياق تعبيرى و تشكيلي معين⁹ .

و الدارس إزاء توقفه أمام لوحة الغلاف و هو يحاول تفسيرها و أخذها في عين الاعتبار لا يعدو أن يكون توقفه إلا وجهة نظر قد تصيب و قد تخطئ، و قد يعود ذلك إلى أن لوحة الغلاف قد تصدر أحيانا دون علم المؤلف حين يُعهد بها إلى أحد الفنانين التشكيليين و المتعاملين مع دور النشر، فيقدمها بحسب ما يترأى له العمل الأدبي ذاته . فهي وجهة نظر بدورها قد تقترب من الشبه أو تبتعد، فضلا عن " كون أن لوحة الغلاف قد تأتي على شكل رسومات هلامية أقرب إلى طبيعة الطلسم التي تحتاج إلى تفسيرها نصا مغايرًا ، أو افتراضات و أطروحات تبعد ، أو تقترب من جوهر النص"¹⁰ .

و توقف الدارس هو الآخر عند لوحة الغلاف و قراءته لها لا يبتعد كثيرا عن قراءة الفنان التشكيلي، فهو مجرد وجهة نظر مقدمة من متلق يحاول ما استطاع الاقتراب من النص و الخروج من تيمه .

اشتغلت الدراسة على لوحة غلاف الرواية في طبعتها الأولى الصادرة عام 2011 عن دار الجنوب . وتمثل لوحة الغلاف في رواية " روائح المدينة " لحسين الواد مدخلاً رئيسياً لتقبل و قراءة العمل، و تكونت من وحدتين ، وحدة أمامية حملت القدر الأكبر من وظائف الغلاف، ووحدة خلفية لها دورها الذي لا يقل أهمية عن دور الوحدة الأولى .

حملت الوحدة الأمامية لغلاف مدونة الدراسة أربع وحدات جرافيكية : هي اسم الكاتب و العنوان ، و صورة الغلاف و اسم دار النشر و هي وحدات أيقونية لها دلالاتها و إشاراتها التي تستوقف المتلقي . ركزت اللوحة و هي واقعية انطباعية على حالة التأزم و الصراع الذي يكتنف بيئة عربية بصفة خاصة و على المستقبل المجهول الذي ينتظر أفرادها و جماعاتها ، وتشير إلى حالة من الضبابية في الرؤية، ووضع غير مستقر ينذر بالانفجار.

وقد جاءت على يسار الواجهة الأمامية للغلاف وتضمنت بنايات مرسومة بريشة زيتية لكن بشكل مهمل غير متقن تماما، لعله يشير نوعا ما إلى صورة المدينة الكثيبة المهملة التي ظلت تعاني طيلة الفترات الزمنية و المراحل التاريخية التي مرت بها ، كما بدت هذه البنايات متراكمة الواحدة تلو الأخرى للدلالة على الأجيال و الحضارات التي تقلبت على هذه المدينة وتعاقبت عليها . فالبنائات أسفل اللوحة تبدو أكثر قدما من غيرها من البنايات الظاهرة في أعلى اللوحة ، يؤكد ذلك كثير من الرموز القديمة التي اعترتها و كذا اللون الأصفر الذي طغى على ألوانها والذي يدل على القدم و التآكل و الكآبة ، و قد أوحى صاحب اللوحة بالبنائات ذات اللون الأحمر المتفردة التي تظهر في قمة اللوحة التي ضمت مدينته إلى بداية عهد جديد لا يقل بشاعة وخطورة عن سابقه .. و قد عكست اللوحة صورة لمدينة تكثر البنايات فيها ، و تأتي مترابطة متلاصقة و لكن مصمّمة عمداً إلى إخفاء هذه المعالم و لم يظهرها واضحة محددة الأبعاد وواضحة الألوان هي صورة لمدينة الكاتب أو مدينة الرواية التي سعى الكاتب إلى كشف مختلف الروائح التي تنبعث منها، و لعل كثرة البنايات (مصانع-شركات-عمارات و منازل...) هي التي ساهمت في بعث تلك الروائح كلها ، فجاءت كثيفة في الرواية كثافة بنايات المدينة تختلط و تمتزج و تنأى عن العد و الحصر كما البنايات التي لا يمكن أن يرى واحدا لكثرتها و التجاور الشديد بينها .

صورة الغلاف فيها من الضبابية و عدم الاتضاح ما يثير فضول المتلقي فالمباني متلاصقة غير محددة الأبعاد تبدو قديمة تنتشر بصورة فوضوية لا نرى فيها أثرا لشارع أو فضاء عمومي ، و شكل المباني في حد ذاته لا ينتمي لعصر الكاتب فتصميمها و طبيعتها بنائها على غموض الصورة يعود بنا إلى عصور سابقة و إلى عهود غير عهود المدنية الحديثة.

هي صورة لمدينة تختزل في سماتها كل المدن العتيقة التونسية و لعل في ذلك تركيز على مسألة التراث و العودة إلى عصور الماضي الذهبية ، أو هو رغبة في العودة إلى تلك الحقبة التي كانت فيها مدينة الكاتب رمزا للإخاء و التعايش السلمي بين جميع مكوناتها فالبيوت جاءت متلاصقة يتكأ بعضها على بعض بألفة و حنان و أخوة و كأن واضع اللوحة يريد ممن سكنها اليوم " أن يكون وصفه كهذه البيوت شامخا متكاثفا غير متفرق"¹¹

من زاوية أخرى تعكس اللوحة صمتا رهيبا يحمل بين جنباته حالة من الغليان الشديد يظهره اختلاط الألوان على اختلافها وتنوعها وكثرتها ، فلا نكاد نميز منها سوى اللون الأسود ، شكل الصورة في حد ذاته لا يبعث على التفاؤل يشعرك بنوع الخوف و يثير في نفسك خوفا من المجهول تنظر إليها فلا تشعر بالارتياح .
و حينما يأتي العنوان مقابلا للصورة (اللوحة) و في وسط الغلاف فإن في ذلك دلالة على أن روائع المدينة تنبعث فيها من كل جانب لا يستأثر طرف من أطراف المدينة الشاسعة المكتظة بالبنين برائحة ، بل إن هذه الروائع هي سمة المدينة ككل و هو ما يتوافق مع الرأي السابق الذي تجليه كثرة البناءات المتلاصقة الدال على الوحدة و الأخوة المنشودة .

ويسعى الكاتب إلى خلق جو من التوازن على سطح الغلاف بين ما يحنّ إليه و ما يأمل فيه و ما يخشاه، فالصورة تختزن بين طياتها كل هذه المشاعر ، و هو ما سعت الرواية إلى تقديمه أو عرض نقيضه، ولعل بروز مساحة الصورة على سطح الغلاف، واحتلالها حيزا لا بأس به دلالة على هيمنة جوها على المتن السردى باعتبارها سلطة خارجية ضاغطة و موجبة تضيء و تهيمن و تنتج جزءا من وضوح الرؤية العنوانية¹²
و حين نعود إلى اللوحة تبدو لنا البناءات التي رسمت في الأسفل كثيبة حزينة ملوية العنق و لربما دل ذلك على واقع سكانها حاليا في هذا العهد الجديد ، كما نرى أن المدينة تلفها سماء صفراء و تحتضنها، ولعل المقصود بها شمس المستقبل و الأمل بغد أفضل ، و ماالألوان التي تتخلل سماء المدينة إلا تلاش للروائع القديمة ، وربما دلّ اللون الأصفر الممتزج بألوان أخرى عن ضبابية المستقبل و غياب أفق التوقع فيه . وهو ما يحيل إلى نوع من الغموض ربما قصد به الكاتب إثارة الفضول و التشويق لدى القارئ للاطلاع على الرواية و الغوص فيها .
اشتغلت اللوحة على اللون أيضا فقد احتفى به الغلاف و شكل من خلاله بعدا إيحائيا واضحا ، إذ عبرت الألوان التي امتزج بعضها مع بعض معطية لونا داكنا عن صورة قاتمة و مشهد كئيب و عن عتمة القادم المنتظر، فأتى اللون الأسود فيها ليبدل على كآبة المشهد و سوداوية الحال التي تحيط بالفرد العربي في كل الجهات و الأماكن ، في إشارة إلى المآل الذي آلت إليه المدينة و كل المدن في الوقت الحاضر من مأساة حقيقية . و ربما دلّ اللون الأسود على روائع المدينة التي عبر من خلالها الكاتب عن التحولات الاجتماعية التي طرأت عليها و لم تجلب لها الخير فكان هذا اللون أنسب للتعبير عن نظرة الكاتب السوداوية المتشائمة . كما شكل اللون الخارجي للكتاب الذي تتلقاه عين القارئ منذ الوهلة الأولى وقبل العنوان دورا هاما ساعد المؤلف في إيصال جزئية ما من مضمون و محتوى دراسته ، حيث خصص الكاتب حسين الواد في مؤلفه " روائع المدينة " لون الرماد ليغطي غلاف كتابه و الذي يعبر عن تآكل هيكل المدينة وزوال خيراتها بلهيب جشع وطمع أصحاب المال ، و لعله عبر عن ذلك ضمنا في الفقرة التي تضمنها ظهر كتابه في جزئه الثاني .

و يمتزج اللون الأسود مع اللونين الرمادي و البني في شكل فسيفساء أشبه بالسراب الذي يمتد على مد البصر محاكيا واقع الفرد العربي في مجتمعه الذي يعيش حالة من الضياع و التشتت و ضبابية الواقع و الرؤية و الموقف و قد أدّت الألوان المشكلة لملامح الصورة و خلفيتها دورا في تعميق هذا الاضطراب .
وما نلاحظه أيضا أن اللوحة-الصورة البصرية - لم تطغ على الغلاف كله لأن الأهم بالنسبة لصاحب الكتاب هو صورة الذاكرة الشمية لا صورة الذاكرة البصرية فالأولى بالنسبة له تدفعنا لرسم الثانية لا العكس و لذلك عمد إلى الوصف النابض بالحياة قصد جعلك تتصور المشهد و تتعايش معه.

و يدخل ضمن إطار لوحة الغلاف اسم الكاتب الذي يعد عتبة مهمة لا يمكن تجاوزها في أثناء قراءة لوحة الغلاف، لأن وجوده ينسب النص إلى مؤلفه و يضمن له حق الملكية الفردية، كما أنه يساهم في صناعة توقع مبدئي عن طبيعة الأسلوب و لغة الكتابة و شكل استغلالها في فضاء السرد . و قد جاء اسم الكاتب أعلى صفحة الغلاف يمينا . و نلاحظ في أسفل الصفحة أيضا اسم دار النشر التي تكفلت بطبع العمل و نشره و هي مكتبة " دار الجنوب " بتونس.

أما بالنسبة إلى الخلفية فلا تعدو غير كونها محفزة على القراءة و الفضول لدى القارئ فقد اشتملت على فقرة تلخص موضوع الرواية وترتبط بعنوانها و تشير إليه ، و تدعو القارئ إلى إصدار حكمه عليها و لا يأتي ذلك إلا بعد قراءته للعمل حتى يكون رأيه محايداً و منطقياً ، و في ذلك جرّ للمتلقي نحو مغامرة القراءة و هو ما يتناقض مع إهداء الكاتب الذي خص به سوى الذي له مدينة كمدينته . كما تضمنت الصفحة نبذة مختصرة عن حياة الكاتب حسين الواد و صورة فوتوغرافية له تنسب الكتاب له و تؤكد.

ثانيا-العنوان :

عتبة العنوان هي أول ما يواجه المتلقي من عتبات النص، لذلك أضحت شغلا شاعرا بالنسبة للمبدع، ذلك أنّ طبيعة العنوان التي تتسم باقتصاد لغوي كبير فضلا عن التعقيد الحاصل في مهامه و وظائفه و التكتيف الذي يعتريه، كل ذلك جعل منه لحظة حرجة عند اختياره و صياغته . لحظة توهب النص الحياة مثلما قد تقصيه و تهيه الموت.

و قد أبرز (جون كوهين) أهمية عتبة العنوان من خلال حديثه عن دلالة الوصل حين عدّ الوصل مظهرا من مظاهر الإسناد ، فقال : " إن طرفي الوصل ينبغي أن يجمعهما مجال خطابي واحد ، يجب أن يكون هناك فكرة ، هي التي تشكل موضوعهما المشترك ، و غالبا ما قام عنوان الخطاب بهذه الوظيفة إنه يمثل المسند إليه لأن كل الأفكار الواردة في الخطاب تكون مسندة إليه ، وهو الكل الذي تكوّن هذه الأفكار أجزاءه"¹³ .

و قد اختلفت آراء النقاد حول لحظة إنشاء العنوان .أهي قبل كتابة النص . أم بعد كتابته. فإنشاء العنوان قبل النص يجعل الكاتب مجبراً على كتابة نص يلائم العنوان ، فيصبح حينها العنوان أصلاً و النص فرعاً . أما إنشاء العنوان بعد النصّ فيه تحفيز للكاتب على الكتابة ، فيكون العنوان بمثابة الموجّه لأفكار الكاتب و هو ما يجعل من العنوان فرعاً و النص أصلاً ، و هو الرأي الذي يتّجه إليه أغلب الكتاب و المبدعين ، إذ يعتمد الواحد منهم على إنشاء نصّه أولاً ثم يختار له العنوان القادر على اختزاله في تركيب أو لفظ يلائمه .و لذلك كلّه " ينبغي أن يحتوي العنوان على بؤرة التكتيف المعرفي ، و التركيز الإيحائي ، ويتسم بالتوالد الدلالي و التنامي الجمالي ، و يعيد إنتاج نفسه داخل المتن . و يوجّه المتلقي و يمدّه بطاقات ثقافية ، و إمكانات معرفية لتفكيك النص و ضبط انسجامه "¹⁴

العنوان -إدّاً- بناء يتمركز في واجهة النص له دلالاته السطحية و العميقة ، الخفية و المرئية التي نرى من خلالها فحوى النص من ناحية ، و نرى من خلالها ملامح نص يوازي النص الأساسي طوال عملية القراءة ، و يرتبط معه عبر خيوط يتحكم الكاتب في بعدها أو قربها ليبقي على شغف المتلقي . و هذه العلاقة التي تربط

العنوان بالنص قد تكون تقابلية أو انزياحية، و لا تكون بالضرورة ائتلافية لكن الغالب أنها علاقة احتياج، فكلاهما يحتاج إلى الآخر فبدون نصّ يفقد العنوان القدرة على توليد الدلالات ، وبدون عنوان لا وجود حقيقي لنص¹⁵ ، إذا يفقد هذا الأخير هويته .

" روائح المدينة " : هو عنوان رواية حسين الواد الذي نروم استنطاقه و مقارنته. و فيها حاول الكاتب أن يأتي على كثير من التحولات الاجتماعية التي طرأت على المدينة في فترات زمنية مختلفة بداية من عهد البايات فعهد الحماية و الاستعمار ثم العهد البورقيبي (عهد السيادة و دولة الاستقلال) وصولاً إلى العهد الجديد (دولة بن علي) . و إذا ما تأملنا العنوان قبل الغوص في أعماق النص فإننا واقفون على معطى شاعري يمنح العنوان قوة إغرائية تجذب المتلقي ليتجاوب مع طاقات العنوان الشاعرية و الإبداعية و يتفاعل مع إشعاعاته الدلالية و الجمالية. ذلك أن الرائحة في حد ذاتها - خاصة إذا كانت عطرة - وسيلة جذب للآخر و لأن الكاتب لم يفصح عن طبيعتها فقد* أبقى على الخيط الذي يشد القارئ لاكتشافها .

و لعل الكاتب قد اختار كلمة رائحة عوض كلمات: عبق أو شذى أو عبير أو عطر التي تقتصر على الروائح الطيبة للدلالة على أن المدينة تمتاز فيها كل أصناف الروائح الطيبة و الخبيثة ، و لا تقتصر روائحها على صنف منها فقط ، وورودها بصيغة الجمع يشير إلى ذلك التنوع و التعدد .

و ربما أشارت الكلمة إلى مفهوم آخر ذلك أن مقابل رائح هو قادم، ومنه فالرائحة قد تحمل معنى الذهاب و الغدوّ، وهي كذلك فهذه الروائح و بعد أن تسللت من منشئها راجت و انتشرت في شوارع المدينة فشكلت ملمحا بارزا فيها. هذا إذا سلمنا فعلا بأن القارئ قد تبادر إلى ذهنه منذ الوهلة الأولى أن الكاتب يتحدث عن روائح المدينة، فقد اعتاد المتلقي خاصة في الأعمال الإبداعية المعاصرة على كثير من العناوين المراوغة التي لا تفصح بصورة مباشرة على متونها النصية ، إذ تتقنع و تمارس لعبة التخفي فاسحة المجال لكثير من التأويلات و منفتحة على كثير من الدلالات ، رغم ما في هذا العنوان من تقريرية و مباشرة لا تظهر عند قراءته للوهلة الأولى ، و لكنها تتأكد بعد قراءتنا لمثن الرواية .

و عنوان رواية : " روائح المدينة " هو أول ما يواجه المتلقي على غلاف الرواية فيعطيه انطباعاً أولياً عن موضوعها قبل الولوج في قراءتها ، و هو انطباع لا يتم التأكد منه إلا فور الفراغ من قراءة الرواية. إذ لا يتخيل القارئ أن الكاتب سيركز حديثه فعلا على روائح المدينة المنبعثة من كل أرجائها، و أنه سيأتي على ذكرها رائحة برائحة ، مخالفاً بذلك أفق التوقع لدينا الذي يذهب بنا كل مذهب في أثناء مواجهتنا الأولى للعنوان الذي نعتقد بأنه مراوغ و غير مسالم ذلك أن كلمة الروائح و التي وردت جمعا في العنوان و بحكم طاقاتها الإشعاعية و الإيحائية تنفتح على كثير من الدلالات و التأويلات، فقد تكون واقعة ماضيا أو يحتمل وقوعها مستقبلا، و قد تكون موجودة مشمومة ، أو يتوقع أن تفوح مستقبلا، و قد تكون عطرة أو نتنة ، كثيرة أو قليلة ، و قد تكون مشمومة عن بعد (فتكون حيننا و شوقا للمدينة) أو عن قرب (فيكون فيه انتقاد و سخرية) ، و هل يعرف مصدرها (فتكون تعرية لواقع ما و كشفا لملايساته) أم مجهولة المصدر (فتكون استشرافا لمستقبل و تحذيرا من خطر محقق) ، ثم هل في استنشاقنا لها و معايشتنا لها معايشة لواقع اجتماعيا ما أو سياسي؟ ثم هل هي هوية و تاريخ؟.....

وهذه التساؤلات سرعان ما تبدأ في التبدد فور شروعا في قراءة الرواية ، و تبدأ قراءتنا الانطباعية في الانحسار من خلال وقوفنا عند تلك التعالقات النصية الرابطة بين العنوان - الذي يبدو مباشرا في البداية ولكنه غير ذلك - و بين المقاطع السردية للنص الروائي التي نستشف منها محاولة من الكاتب في إبراز التحولات الاجتماعية التي طرأت على المدينة من خلال الحديث عن الرائحة. و بذلك شكّل العنوان بؤرة ارتكاز الرواية سواء على مستوى الشكل أو التقبل و عتبة مهمة من عتباتها النصية .

و أول ما يلفت الانتباه في العنوان " روائح المدينة " هو كونه قد ورد مكونا من كلمتين روائح : و المدينة . ذات الكثافة الدلالية و الجمالية التي تتلاءم مع مضمون الرواية جاعلا من الأولى مضافة إلى الثانية ، و هو ما يجعل منها - الروائح - لصيقة بالمدينة التي يتحدث عنها الكاتب و سمة بارزة من سماتها تجعل منها مدينة لها خصوصياتها التي تستقل بها عن غيرها من المدن الأخرى . فالعنوان منذ البداية يرسل إشارات التي تقود المتلقي نحو دلالة استباقية توحى بمسار الرواية و السرد صوب الحديث عن روائح المدينة ، مستنفرا حاسة الشم لدى المتلقي و التي بدورها تستنفر كل حواسه الأخرى لفهم ما يورد عليه و الإحاطة به .

كما يحيل العنوان على نوع من المجاز المرسل الذي علاقه الكلية ذلك أن الرائحة لا تنبعث من المدينة بل من جزء منها : المسجد ، الغرفة ، محل العطور ، الإسطبل ... لذلك و حين عمد الكاتب إلى إبراز الرائحة جمعا ففي ذلك إشارة إلى انبعاثها من كافة أرجائها، و أن الجزء في هذا المجاز ليس واحدا بل أجزاء كثيرة كثرة روائح المدينة .

وإذا كان العنوان علامة لغوية تؤدي دلالاتها فإن عملية التواصل العنوانية للعنوان لا تتم بشكل عشوائي للخطوط المستعملة، بل تتوسل بمؤثرات جمالية من حسن الخط و اختيار اللون كونهما يحملان طاقات تأثيرية على المتلقي. لذلك فإن رسم الخط فعل مقصود و يحمل الكثير من المؤشرات التي تحيل إلى صاحب الخط و شخصيته¹⁶ . فقد كتب لفظ العنوان بلون غامق و بخط أكبر من الخط الذي كتب به اسم المؤلف و دار النشر ، فدلّ ذلك في اعتقادنا على عمقه و كثافة مدلوله بما يوحي بكثافة الروائح المتحدث عنها ، كما أننا لم نجد فيه ميلانا أو تضليلا ، و لعل في ذلك إشارة إلى ثبات الشيء (الرائحة) التي تعايش معها أهل المدينة ، و بقاءها صامدة و شاهدة على تاريخ المدينة ، راسمة صورة مميزة لها بين المدن الأخرى رغم توالي الأزمنة و العصور.

أما القيمة الدلالية للألوان فنستشعرها في اللون الأسود الذي كتب به العنوان و الذي يحيل على نظرة سوداوية متشائمة و تعطي إشارات دالة على أن هذه المدينة غارقة في أحوال اجتماعية و سياسية كثيرة لا سبيل إلى الفكك و الخلاص منها ، و قد توسط العنوان يمين أيقونة الغلاف التي تظهر صورة المدينة ليكون دالا على كل روائح المدينة التي أتى على ذكرها السارد في متنه السردية .

خاتمة:

ويمكن القول في ختام حديثنا عن العنوان في رواية روائح المدينة أن الكاتب قد وفق إلى حدّ ما في اختياره فقد كان أقرب إلى المباشرة منه إلى الإشارة و التلميح و الترميز ، رغم أنه لم يعد شيئا من هذا القبيل من خلال حديثه عما اعترى المدينة من تحولات اجتماعية على مرّ العصور التي تخللتها ، فلم يرد الكاتب أن يتعب المتلقي كثيرا و يستنزف طاقاته في فك شفرات العنوان فاختار هذه العتبة بكل وعي بالفكرة و عناية بالموضوع محققا بذلك " فاعلية التنوير و التثوير التي أوجدت فاعلية التشويق للدخول في ثنايا المقاطع السردية " ¹⁷ ، و لم يشأ

أن يوارى عنوانه داخل النص و يخفيه فوضع عنوانه "روائح المدينة" متحدثا عن روائح المدينة لعلمه بأن ما احتواه الكتاب أكثر أهمية من العنوان ، و أن في الكتاب من الأمور التي تشغل القارئ أكثر من الأمور التي تشغله بعنوان الرواية ومدى ملاءمته أو عدمها .

خاتمة :

دلت صياغة النص الموازي في رواية روائح المدينة للكاتب حسين الواد على براعة الكاتب اللغوية و الفنية ، و قد أفصحت عن ذلك هذه الدراسة التي انتهينا فيها إلى ما مؤداه أن الكاتب حسين الواد قد أولى اختيار عتبات نصه حفا من العناية و أحسن استثمارها بما يفي بالتعبير عن تجربته الإبداعية، إذ أنه لم يضعها بصورة اعتباطية تخلو من الدلالة، و لا تحمل قيمة جمالية أو فكرية بل ربطها بخيط يصل بينها و بين مقاطع روايته السردية خصوصا على مستوى لوحة الغلاف و العنوان ، و قد دارت في فلك البنية المركزية للنص الروائي الذي عبّر فيه الكاتب من خلال روائح مدينته الكثيرة عن كثير من الظواهر و التحولات الاجتماعية التي عرفتها مدينته . و مثلت تلك العتبات أنساقا فكرية منتجة لدلالات مصاحبة لدلالة المتن السردى محققة بذلك مسارا تواصليا يحفز المتلقي على الإقبال على قراءة الرواية بما انطوت عليه من حمولات و دلالات و إشارات باعثة على جدوى الإبحار في ثنايا هذا المتن السردى. كما تحققت أهمية تلك العتبات من خلال ما أدته من وظائف تداولية وإغرائية و تسويقية ، حين أثارت في نفس المتلقي الفضول و جذبته صوب الكتاب عبر بوابتي الغلاف و العنوان بما اشتملتا عليه من إمكانات بلاغية و جمالية و لا أدل على ذلك مما لاقته الرواية من إقبال واسع على اقتنائها من طرف القراء و جمهور الباحثين.

هوامش وإحالات المقال

¹ - نخبة من النقد و الأكاديميين، فضاء الكون السردى، إعداد و تقديم: محمد صابر عبيد، دار غيداء للنشر، عمان، ط1، 2014، ص273

² - نفسه ، ص273

³ - أبو علي بن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، 18/1، نقلا عن محمد مصطفى كلاب ، عتبات النص في رواية ستائر العتمة لوليد الهودلي، مجلة البحوث الإنسانية.الجامعة الإسلامية. غزة. مج 25. 2017.

⁴ - نفسه ، الصفحة نفسها

⁵ - نفسه ، الصفحة نفسها

⁶ - أبو المعاطي خيرى الرمادى ، عتبات النص ودلالاتها في الرواية العربية المعاصرة ، مجلة مقاليد ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، ع 7 ، 2014، ص293

⁷ - نخبة من النقد و الأكاديميين ، فضاء الكون السردى ، إعداد و تقديم: محمد صابر عبيد، ص 276

⁸ - أبو المعاطي خيرى الرمادى ، عتبات النص ودلالاتها في الرواية العربية المعاصرة ، مجلة مقاليد، ع7، ص293.

⁹ - نخبة من النقد و الأكاديميين، فضاء الكون السردى، ص277

¹⁰ - أسامة محمد الشيشني ، أدوات التشكيل الفني في أعمال إبراهيم عبد المجيد الروائية ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط1، 2008، ص 42

¹¹ - نخبة من النقد و الأكاديميين ، فضاء الكون السردى، ص277

¹² - نفسه ، ص279

¹³ - جون كوهين ، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي و محمد العمري ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب، 1986، ص 116 .

- ¹⁴ - محمد مصطفى كلاب ، عتبات النص في رواية ستائر العتمة لوليد الهودي ، مجلة البحوث الإنسانية.الجامعة الإسلامية .غزة .مج 25.
- ¹⁵ أبو المعاطي خيري الرمادي ، عتبات النص و دلالاتها في الرواية العربية المعاصرة ، مجلة مقاليد ، ع 2014، 7، ص 295
- ¹⁶ - بولرباح عثمانى ، سيميائية العنوان في ديوان خبر كان ، مجلة مقاليد ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، ع 7، 2014، ص 215
- ¹⁷ - محمد مصطفى كلاب ، عتبات النص في رواية ستائر العتمة لوليد الهودي ، مجلة البحوث الإنسانية.الجامعة الإسلامية .غزة .مج 25.

مصادر ومراجع الدراسة

المصادر:

-حسين الواد ، روائح المدينة، دار الجنوب للنشر، تونس، ط 2010، 1.

المراجع

- 2- أبو المعاطي خيري الرمادي ، عتبات النص ودلالاتها في الرواية العربية المعاصرة ، مجلة مقاليد ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، ع 7، 2014
- 3- أسامة محمد الشيشني ، أدوات التشكيل الفني في أعمال إبراهيم عبد المجيد الروائية ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط 1، 2008.
- 4- بولرباح عثمانى ، سيميائية العنوان في ديوان خبر كان ، مجلة مقاليد ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، ع 7، 2014.
- 5- جون كوهين ، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي و محمد العمري ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب، 1986.
- 6- محمد مصطفى كلاب ، عتبات النص في رواية ستائر العتمة لوليد الهودي ، مجلة البحوث الإنسانية.الجامعة الإسلامية .غزة .مج 25. 2017.
- 7- نخبة من النقاد و الأكاديميين، فضاء الكون السردى ، إعداد و تقديم: محمد صابر عبيد، دار غيداء للنشر ، عمان ، ط 1، 2014